بسم الله الرحمن الرحيم

هيئة شؤون الأنصار النشأة والتطور

تقديم: الأمير: عبد المحمود أبو: الأمين العام

تمهيد:

الأنصارية تمثل مقام الإحسان في درجات الإسلام؛ فعندما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل جبريل عليه السلام عن الإسلام والإيمان والإحسان؛ قال عن الإحسان:" أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[1] وقد سمى الإمام المهدي عليه السلام الذين أيدوا دعوته بالأنصار؛ تطلعا لبلوغ مقام الإحسان الذي بينه الرسول صلى الله عليه وسلم، واستجابة للآية الكريمة"ياأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله...". وتيمنا بأصحاب رسول الله الذين نصروه في المدينة؛ والدعوة المهدية جاءت بالتوحيد، والتجديد، والاجتهاد؛ فاهتمت بتجميع الحق الذي تفرق في الجماعات المختلفة. ومرتكزاتها تؤكد ذلك، فقد جاءت بمدرسة جديدة؛ تعتبر ثورة بمقاييس تلك المرحلة وتجاوزا للفكر الإسلامي التقليدي. وتلك المدرسة تتمثل في الآتي: -

- الالتزام بالكتاب والسنة باعتبارهما المرجع الأول في التشريع وأن عطاءهما متجدد.
- عدم التقيد بالمذاهب باعتبارها فرقت الأمة وأبعدت الناس عن روح الدين.
- التمييز بين الثابت والمتغير على أساس (لكل وقت ومقام حال ولكل زمان وأوان رجال).
- النظرة العميقة للإسلام باعتباره تجسيدا حيا في الواقع وليس نصوصا وشارات (أنا عبد مأمور بإحياء الكتاب والسنة المقبورين حتى يستقيما).

---

1 رواه البخاري مختصر صحيح البخاري رقم (47)

- تجاوز الخلافات التاريخية بين السنة والشيعة، وبين العقل والنقل، وبين الحقيقة والشريعة؛ باعتبار أن الإسلام يوفق يسع جميع الاجتهادات المنضبطة (توحيد أهل القبلة)
- إحياء فريضتي الجهاد والاجتهاد؛ إذ لا حيوية للإسلام إلا بهما.
- البعث الإسلامي المنشود لا يتحقق إلا بمنهج واضح محدد المعالم.

لقد مرت الدعوة بعدة مراحل يمكن حصرها في الآتي:
المرحلة الأولى: مرحلة المهدي وخليفته.
المرحلة الثانية: مرحلة الإمام عبد الرحمن وخليفتيه.
المرحلة الثالثة: مرحلة هيئة شؤون الأنصار.

لقد كتب الكثير عن المرحلتين الأولى والثانية والأدبيات فيهما متوفرة؛ لذلك لا داعي للحديث عنهما في هذه الورقة، وسوف أركز على مرحلة هيئة شؤون الأنصار عبر أربعة محاور هي:
المحور الأول: الجانب التنظيمي والتطور الذي صاحبه.
المحور الثاني: الجانب الفكري.
المحور الثالث: النتائج.
المحور الرابع: المطلوب لحجز مكان للكيان في المستقبل.

المحور الأول: الجانب التنظيمي والتطور الذي صاحبه:

هيئة شؤون الأنصار تعتبر مرحلة من مراحل تاريخ الكيان الأنصاري؛ جاءت في مرحلة أوجبت أن العمل يكون في إطار مؤسسات. وهي محاولة للانتقال من كيان تقليدي يتعامل بالعفوية، والتلقائية، والأبوية، وإعلاء مقام الأشخاص، والتمركز في ذواتهم؛ إلى مؤسسة ذات شخصية اعتبارية؛ تحكمها نظم ولوائح، وتديرها أجهزة، وتمارس أنشطتها استنادا إلى برامج مدروسة ومجازة من الأجهزة التشريعية؛ ...والمؤسسة بهذا المفهوم تتلاشى فيها المفاهيم الشخصية والاعتبارات الذاتية. إن فكرة الهيئة تخطيطا

وإخراجا يرجع الفضل فيها للإمام الصادق المهدي؛ فهو الذي رأى بثاقب فكره أن العصر الحديث يقتضي أن ينشئ الكيان مؤسسة تقوم بالنشاط الديني والاجتماعي وغيره من الأنشطة الإنسانية التي يحتاج إليها الإنسان. إذ قبل هذا التفكير كان النشاط الديني يقوم به مكتب خاص تابع للإمام يسمى مكتب شؤون الأنصار يشرف على المساجد والخلاوي والوكلاء والمناديب؛ غير أن الظروف تغيَّرت وحدثت تطورات كبيرة في المجتمع توجب المواكبة. لقد جاءت هيئة شؤون الأنصار ملبية لهذا المطلب، فبعد المصالحة الوطنية؛ اجتمع السيد الصادق المهدي [وكان وقتها قائدا للأنصار بحكم البلاء والعطاء، ووصية الإمام الهادي] بعدد من قادة الأنصار وشرح لهم الفكرة فاستحسنوها وتوافقوا على إنشاء مؤسسة تحت مسمى هيئة شؤون الأنصار؛ وَوضِع لها دستورٌ يسمى الدليل التأسيسي واختير المرحوم خالد محمد ابراهيم أمينا عاما لها. ونص الدليل التأسيسي على أن الهيكل التنظيمي للهيئة يتكون من أربعة أجهزة هي: المؤتمر العام، ومجلس الشورى، ومجلس الحل والعقد، واللجنة التنفيذية؛ غير أن الظروف لم تمكن القائمين على أمر الهيئة حينها من عقد المؤتمر العام وإكمال بقية الأجهزة؛ فاختارت مجلسا للشورى جله من آل المهدي وأبناء الخلفاء والأمراء! واختار الأمين العام لجنة تنفيذية تعينه في تصريف المهام ولكن في الواقع ظلت الهيئة تسير بجهاز واحد هو المكتب التنفيذي [اللجنة التنفيذية] وهو نفسه يكتمل حينا وينقص أحيانا؛ وكان نشاط الهيئة في تلك المرحلة انحصر في الآتي:

1- النشاط الاجتماعي: [تقديم العزاءات، وعقد الزيجات، وزيارة المرضى، وفض النزاعات وزيارة الأحباب ...] الخ

2- النشاط الديني: [إحياء المناسبات الدينية؛ كالأعياد، والمولد، والرجبية، وغيرها والإشراف على مجمع بيت الإمام المهدي]
3- النشاط الفكري: [إصدار منشورات وكتيبات في المناسبات المختلفة يكتبها السيد الصادق المهدي].
4- النشاط التأهيلي: [الإشراف على المعسكرات الطلابية]
5- النشاط التنظيمي: [مخاطبة الأحباب أن يقوموا بتكوين لجان في مناطقهم كفرعيات للهيئة].
6- المحافظة على قواعد الكيان من التفلت والذوبان؛ باعتبار أن الهيئة تمثل شخصية اعتبارية ينضوي الأنصار تحت لوائها.

لقد امتدت هذه المرحلة من عام 1979 حتى عام 1990م ثم بدأت مرحلة جديدة؛ حيث ظهرت وجوه جديدة في الساحة الأنصارية؛ شابة ومتعلمة، ولديها تأهيل جيد في مجال العلوم الشرعية، كما أن الأوضاع السياسية في البلاد قد تغيرت وتقلد الحكم نظام يرفع شعارا إسلاميا، ويقدم خطابا سياسيا متطرفا؛ وتعرض قادة الهيئة للاعتقال وصودرت دورها وممتلكاتها وتبنى النظام الحاكم مشروعا عقائديا مخونا للعهد القديم ومجرما له؛ وتعرض تاريخ الأنصار للتشويه والإدانة مما أوجب التصدي لهذا المشروع الاستئصالي؛ هذه المستجدات فرضت على قيادة الهيئة إتاحة الفرصة للجيل الجديد ليتبوأ الصدارة في أجهزة الهيئة؛ ليتمكن من التصدي لهذا الموقف الذي استجد؛ وبالفعل تم استيعاب عدد كبير من الكوادر في أمانة الدعوة

والإرشاد التي تحملت مسئولية الإشراف على المساجد والخلاوى وخطب الجمعة، والبرامج الدعوية والفكرية؛ وكان أهم منبر هو مسجد القبة، وبعد مصادرته انتقل المنبر إلى مسجد الهجرة بودنوباوي, ثم توسع العمل ليشمل تجديد كل الأمانات, ومع تطور الأحداث تم توسيع الهياكل بإنشاء مجلس أهل الحل والعقد؛ الذي جاء نتيجة لتشاور واسع؛ شمل قيادات الكيان في العاصمة والأقاليم في ظروف كانت السلطات تمنع فيها أي نوع من اللقاءات خارج تنظيمات الحزب الحاكم! وكان كيان الأنصار من أكثر الكيانات تعرضا للبطش والتنكيل؛ حتى كأن الأجهزة الأمنية لاشغل لها إلا ملاحقة كوادر الكيان، ففي ظل هذه الأوضاع وُلِد مجلس الحل والعقد الذي ضم ممثلين لكل شرائح المجتمع الأنصاري؛ التقليدية والحديثة، وتمت إعادة تكوين المكتب التنفيذي الذي وضع برنامجا للهيئة سُمِّي برنامج بناء الذات الأنصارية يقوم على الآتي:

1- التأهيل.
2- التنظيم.
3- النشاط الدعوي.
4- بناء العلاقات الخارجية.
5- التمويل والاهتمام الجانب الاقتصادي.

وقد شمل التأهيل: تطوير الخلاوي، وتأهيل خطباء المساجد، والدعاة، وإقامة المعسكرات والسمنارات والورش؛ التي غطت معظم مجالات النشاط الإنساني. كما وُضع هيكل تنظيمي يبدأ من الحي وينتهي بالمؤتمر العام, والنشاط الدعوي انتشر بصورة غير مسبوقة في كيان الأنصار, كذلك امتدت علاقات الهيئة لتتوطد مع كل الجماعات الدينية في السودان؛ كما بنت علاقات مع المؤسسات الدعوية خارج

السودان وشاركت في كثير من المؤتمرات الدولية, فصار صوتها مسموعا في كثير من المحافل الإقليمية والدولية؛أما الجانب الاقتصادي فقد انتقل التمويل للأنشطة من الاعتماد على الإمام بشكل كامل إلى مشاركة القاعدة في تمويل كثير من الأنشطة وهي خطوة مهمة لترسيخ مفهوم المشاركة؛ ولكنها تعثرت لعدة عوامل ؛ فإذا زالت تلك العوامل وتم تطوير المشاركة فسوف تتمكن الهيئة مستقبلا من إنشاء مؤسسات اقتصادية تمول أنشطتها.

كذلك خطت الهيئة خطوات تنظيمية هامة؛ حيث تم عقد المؤتمر العام الأول لهيئة شؤون الأنصار في ديسمبر 2002 والذي تم فيه انتخاب السيد الصادق المهدي؛ إماما للأنصار ، ولعلها أول قيادة دينية منتخبة في الكيانات الإسلامية ، والمشاركون في المؤتمر كان عددهم خمسة آلاف عضوا؛ صُعِّدوا من القواعد، وضم المؤتمر كل شرائح المجتمع الأنصاري : [الأطباء، والمحامين، والمعلمين، والمهندسين، ورجال الأعمال، والمعلمين، وأساتذة الجامعات، والقوات النظامية، والطلاب، والمرأة، والمغتربين، والوكلاء، وممثلي الأجهزة السابقة، والكيانات التقليدية]، وقد أجاز المؤتمر سمات البرنامج العام، وانتخب الأمين العام، ومجلس الشورى، كما اختار مجلسُ الشورى مجلسً الحل والعقد، وصادق مجلس الحل والعقد على المكتب التنفيذي، وأجاز البرنامج وبهذا تكون هيئة شؤون الأنصار قد أكملت أجهزتها التشريعية والتنفيذية وأصبحت تمارس نشاطها وفق برنامج مدروس ومجاز. وأجهزة الهيئة تتكون كالآتي:

1- المؤتمر العام: خمسة آلاف عضوا.
2- مجلس الشورى خمسمائة عضوا.
3- مجلس الحل والعقد خمسين عضوا.
4- المكتب التنفيذي عشر أمانات هي:

1- أمانة الدعوة والإرشاد.
2- أمانة التنظيم.
3- أمانة المرأة.
4- أمانة الشباب والطلاب.
5- أمانة الشؤون الاجتماعية.
6- أمانة العلاقات الخارجية.
7- أمانة منظمات المجتمع المدني.
8- أمانة الشؤون المالية والإدارية.
9- أمانة الثقافة والإعلام.
10- أمانة الوكلاء.

المحور الثاني: الجانب الفكري:

تعتبر هيئة شؤون الأنصار امتدادا للدعوة المهدية امتدادا شرعيا؛ والمهدية تعتبر صانعة السودان الحديث، ورائدة حركات الإصلاح في العالم الإسلامي، وإن جحدها كثير من الناس بسبب الغيرة السياسية، وعامل آخر شل مسيرة الدعوة هو الاهتمام بالجانب الوطني والصراع مع الأنظمة الشمولية؛ مما أدى إلى عدم الالتفات للجانب الفقهي والجانب الثقافي للدعوة المهدية بالصورة المطلوبة؛ لقد أحدثت المهدية تحولا كبيرا في السودان، وتأثر بها المسلمون ودعاة التحرر من الصين حتى غرب أفريقيا ، وجاءت المهدية بمفاهيم جديدة في مجال الفكر والممارسة والحياة؛ وأثبتت عمليا قدرة الإسلام على إحداث التغيير ومواجهة تحديات كل عصر :-

- كان مفهوم الإحياء أبرز شيء في فكر المهدية فقد جاءت في وقت تحول فيه الدين إلى طقوس، والتدين إلى رهبنة، والعبادة صارت حركات بلا روح، والقرآن اختُزل إلى تعاويذ وأحجبة! فكان لابد من تثوير للمفاهيم؛ فجاء الإحياء بمفهومه الواسع (أنا عبد مأمور

بإحياء الكتاب والسنة المقبورين حتى يستقيما) وبهذا استطاعت المهدية أن تغير الواقع وتستنهض الهمم وتشحذ العزائم وتواجه تحديات تلك المرحلة بجدارة

- لم تكن المهدية حركة دراويش – كما وصفها خصومها – بل كانت تباشر عملها بتخطيط ووعي وإدراك للظروف الإقليمية والدولية المحيطة بها؛ فتمرحل العمل، والتدرج، وتنظيم الخطط الحربية، والخروج من أبا بعد أول معركة، والزحف على الخرطوم من الغرب، واختيار مكان وزمان المعركة في شيكان، وإقامة دولة المؤسسات؛ كل ذلك يؤكد ما ذهبنا إليه. ولم يُهمل الإمام المؤسس شاردة ولا واردة إلا واهتم بها؛ حتى أنه أصدر منشورا يدعو فيه إلى تحسين الخط وتجويد الكتابة!
- كل المفاهيم الجديدة التي تتبناها تيارات الإصلاح الحديثة؛ كانت بشكل أو بآخر تشكل حضورا في فكر المهدية؛ فالإمام المهدي دعا إلى التمييز بين الثابت والمتحرك في تعاليم الإسلام، ونهى عن التقليد، ودعا إلى تجاوز التقَيُّد المذهبي، ووضع القاعدة الذهبية للاجتهاد (لكل وقت ومقام حال ولكل زمان وأوان رجال)؛ هذا الإرث يمثل أصول المرجعية الفكرية لهيئة شؤون الأنصار؛ وتمشيا مع مفهوم الإحياء والتجديد والاجتهاد؛ كان عطاء الهيئة في مجال الفكر مميزا يتمثل في الآتي:

1- انطلقت الهيئة من مفهوم أن الإسلام جاء دينا خاتما مكملا للرسالات قبله، متضمنا لأصولها الأربعة: [التوحيد، والعدل بين الناس، والبعث، والجزاء الأخروي]؛ فالعلاقة بين الإسلام والرسالات السابقة علاقة تكامل وليست علاقة تقاطع.

2- التمييز بين الثابت والمتحرك من أحكام الإسلام، فالأحكام الثابتة محصورة في العقيدة، والعبادات، وأصول الأخلاق، وأما المعاملات فأحكامها متحركة تتغير حسب ظروف الزمان والمكان والأحوال.
3- شمول الرسالة الإسلامية لكل المطالب الفطرية: فالإنسان يحتاج لإشباع موزون لعشرة مطالب: [روحية، ومادية، وخلقية، ومعرفية وعقلية وعاطفية، واجتماعية ورياضية، وترفيهية، وبيئية]؛ ولذلك جاء خطاب الهيئة مستجيبا لهذه المطالب؛ انطلاقا من المرجعية الإسلامية حتى لا يضطر المسلم للبحث لإشباع بعض حاجاته خارج إطار الإسلام.
4- التسامح مع الآخر: فالإسلام انتقد العقائد المنحرفة، ولكنه لم يأمر باستئصالها؛ بل وضع تشريعات للتعامل معها وفق قاعدة "فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر"
5- استصحاب العطاء الإنساني النافع على أساس أن الإسلام لم يُلْغِ دور الإنسان؛ بل استصحب كثيرا من القيم الإنسانية النافعة، وأشاد بكل ما هو إيجابي بغض النظر عن مصدره؛ مثل حلف الفضول، وحفر الخندق، وتدوين الدواوين، وغيرها من إيجابيات العطاء الإنساني.
6- نظام الحكم في الإسلام يقوم على فرائض سياسية تتمثل في: [الحرية، والشورى، والمساواة، والعدل، والوفاء بالعهد]، مع عدم إلزام المسلمين بشكل معين للحكم؛ بل يجوز لهم أن يُكَيِّفُوا أي شكل يحقق تلك المبادئ وفق ظروف الزمان والمكان والمصلحة.
7- الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة؛ فالإسلام دين يرفض الإكراه والتسلط، ويدعو إلى الاقتناع، وقد

أعطى الإنسان مطلق الحرية، ومهمة الدعاة محصورة في التبليغ والتبيين وليس القهر.

هذه المبادئ تمثل المرجعية الفكرية لهيئة شؤون الأنصار وهي تنتمي إلى المدرسة الوسطية في الفكر الإسلامي؛ وهي منطقة وسطى بين الانكفاء والاستلاب، إنها مدرسة توفق بين الأصل والعصر وبين العقل والنقل، إنها قراءة واعية للكتاب المسطور(القرآن) والكتاب المنظور(الكون).

المحور الثالث: النتيجة:

لقد بسطت هيئة شؤون الأنصار نفوذها على الساحة الأنصارية، وانتظم الأنصار تحت لوائها؛ بل امتد تأثيرها للساحة الإسلامية؛ محليا وعالميا، وشكلت حضورا ملموسا في كافة المواقع التي تتطلب حضورا إسلاميا فاعلا؛ ويمكن إجمال النتائج التي تحققت في الآتي:

أولا: صار الأنصار يمارسون نشاطهم عبر مؤسسة ذات شخصية اعتبارية؛ يختارون أجهزتها وقيادتها فإذا تفاعلوا مع برامجها التفاعل المطلوب؛ فسيقدمون نموذجا للكيانات الدينية في السودان؛ فيه حل لأزمة الصراع حول القيادة في الكيانات الدينية، وحسم الأمر عبر الشورى واختيار الجماعة.

ثانيا: استطاعت الهيئة أن تؤهل كوادر دعوية متميزة من حفظة القرآن الكريم تشبعوا بالفكر الإسلامي المستنير وانتشروا في الأرض دعاة وأئمة مساجد ومعلمين؛ يتجاوز عددهم ألفي كادر ولهم حضور في كافة المواقع؛ فإذا تمكنت الهيئة من استيعابهم في برامجها وخططها وتحت إدارتها المباشرة فسيحدثون تغييرا كبيرا.

ثالثا: تصدت الهيئة للتيار الإسلامي المنكفئ، والخطاب الإسلامي المتطرف، والنهج الاستلابي، فحاصرت الجميع

بخطاب إسلامي معتدل، ومستنير، وتأصيلي؛ بسط نفوذه في المجتمع؛ مما أجبر المخالفين على الاستجابة له وتبنيه ولو تقية.
رابعا: صارت الهيئة مرجعية لكثير من المسلمين؛ يثقون في فكرها، ويحترمون مواقفها، ويقبلون رأيها، ويرجعون إليها في الفتوى والعقودات، وغيرها من مطالب المجتمع الإسلامي.
خامسا: امتدت علاقات الهيئة الخارجية فنالت شرف العضوية في كثير من المنابر الإسلامية؛ مثل المؤتمر القومي الإسلامي؛ وندوة تطور العلوم الفقهية، والمنتدى العالمي للوسطية؛ وشاركت في كثير من المؤتمرات، ووجد خطابها قبولا معتبرا في تلك المنابر.
سادسا: لم يتوقف نشاط الهيئة على الساحة الإسلامية فحسب؛ بل لديها علاقة جيدة مع التيارات الفكرية، وأصحاب الديانات الأخرى؛ وخاصة المسيحيين؛ وهي عضو مؤسس في مجلس التعايش الديني، وعضو في الفريق العربي للحوار الإسلامي المسيحي؛ وعضو في المؤتمر العربي العام.
سابعا: نقلت الهيئة المنابر الإسلامية من التقليدية والتكرار؛ إلى التجديد والإحاطة والمواكبة؛ فصارت خطبة الجمعة تناقش قضايا الفكر، والثقافة، والبيئة، والسياسة، والحكم، والرياضة، والعلاقات الدولية، وغيرها من مجالات الاهتمام الإنساني؛ مما مكن الهيئة من توجيه الرأي العام؛ فأصبح المعنيون يهتمون بخطابها، ويتبنون رأيها في كثير من المواقف.
المحور الرابع: المطلوب من الهيئة والأنصار:
1- إدراك أن حجم المسئولية الملقاة على الهيئة؛ كبير جدا، وهي ليست فرعا من جماعة خارجية، ولا تجد دعما من أي دولة خارجية، وليست مُدَجَّنة من قبل النظم الشمولية؛ لذلك فإن دعمها يتوقف على المنتمين لها وأصدقائها، فإذا أدركوا

ذلك وتفاعلوا مع برامجها ونفذوا توجيهاتها فإنها ستحقق تغييرا كبيرا في الحياة الإسلامية بإذن الله.
2- أن يدرك العاملون في الهيئة في المركز والفرعيات؛ أن نجاح المؤسسة يتوقف على: الانسجام، والعمل بروح الفريق، والتدريب، والتخطيط، وإشراك العناصر الفاعلة، والمراجعة، والتقييم، والالتزام بالنظم واللوائح؛ وتوفير المعينات اللازمة التي تمكن الهيئة من تطوير برامجها وآلياتها وبالتالي تحقق أهدافها وفق الإستراتيجية الموضوعة.
3- أن ينخرط أعضاء الهيئة في البرامج التأهيلية اللازمة؛ ليتمكنوا من التأهيل في كافة المجالات التي يحتاجها الإنسان كل حسب مقدرته وميوله.
4- الوعي بأن الانفتاح على المؤسسات والكيانات المشابهة؛ يفتح للهيئة فرصا لتبادل الخبرات، ولتعزيز المشتركات؛ مما يساعد الهيئة على التمدد في فضاءات أخرى؛ لتخرج من قوقعة الانكفاء على الذات واجترار التاريخ.
5- غربلة الإرث الأنصاري وتنقيته من الشوائب؛ وتحديد منهج واضح ينطلق من الكتاب والسنة اللذين جاء الإمام المهدي لإحيائهما؛ مع التزام كل المنتمين للمدرسة الأنصارية بهذا المنهج بصورة صارمة.
6- الاهتمام بالجانب الفقهي والجانب الثقافي للأنصارية؛ وتقديم خطاب الدعوة بأسلوب عصري مدعم بالحجج والأدلة؛ باعتبارها حركة إصلاح وتجديد إسلامي تخاطب كل المسلمين.
7- إنشاء مراكز للبحوث والدراسات؛ تهتم بالبحث العلمي؛ وتنزيله لأرض الواقع كثقافة مجتمعية؛ وبالتالي تكون هذه المركز حلقة وصل مع مراكز البحوث في العالم؛ فالعلم رحم بين أهله.

هذه صورة مجملة تبين نشأة هيئة شؤون الأنصار، وتطورها، والنتائج التي حققتها، والمطلوب عمله لتواكب حركة الحياة وتتطور لتنال حظها في الشهود الحضاري.
والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.